فهو اجتهاد الدراس إذن وقد استهل به حياته بحثا عما وراء الحقائق من ظواهر ، وما وراء الظواهر من أسباب وعلل ومعطيات ، وما قدتؤدى إليه من النتائج فى معترك الحياة الأدبية ، سواء أوقع هذا فى تحليل الأسر الفنية ـ كما حددها ـ أو فى موقفه من كل شاعر على حدة : ولا شك أن الصعاليك يدخلون لديه فى سياق الأسرة بالمعنى الفلسفى على مستوى الفكر ونمط الحياة ، ثم على المستوى الفنى فى طبيعة التمرد وصيغة الرفض ، وإعلان الثورة والعصيان الاجتماعى والفنى معاً .

ويبدو البحث عن فكرة الأسرة جزءا من المنهج لديه منذ أصّل له فى بحثه حول أولية المدارس الفنية ابتداءً من تأمل عصر ما قبل التاريخ الأدبى ، والميل الصريح إلى ترشيح نظرية الرجز على طريقة الجاحظ أكثر من طريقة « بروكلمان » (١٦) .

ثم تصنيف المدارس عبر مراحل العصر الأدبى فيما بعد الأولية إلى شعراء الطبع وشعراء الصنعة ، وهو نفس النمط المحورى الذى شغله مع دراسة شعر الكوفة ، وكذا سارت عليه دراسته حول شعر الحداثة العباسية فى كتاب ( الشعر العباسى : نحو منهج جديد ) .

من هنا يتكشف الخيط المنهجى الأول الذى أخذ به الباحث وصدر عنه فى تمكّن ووعى واضحَيْن ، هو منهج يصدر عن خط علمى يتواصل مع الظواهر، ويؤصل لها من خلال التأكد من دور البيئة والعصر والجنس فى إنتاج شخصيات الشعراء . وفى أساليبهم فى إبداع نتاجهم الفنى بما يقارب منهج « تين » و « برونتيير » حول الاعتداد بفكرةالأجناسالأدبية وتأثير البيئات ، ولكنه يظل باحثا عن صيغة معقولة من صيغ التكامل حتى لا يتحول الفن إلى جفاف العلم وحدة لغته ، وحتى لا ينتهى النقد إلى ضرب من التقنين الصارم الذى قد يقفد النص معالم الجمال . وهو إنما يصدر عن عالم الجمال والصياغة الجمالية ، فحرص على اصطناع مزاوجة هادئة بين كتابة السيرة التاريخية للشاعر ، وبين